ويجمل لقوله عز وجل نعم أجر العاملين الذين صبروا والصبر بعد العمل هو الصبر على كتمه وترك التظاهر به والتكلم إليه ليخليه من السمعة والعجب فيحبط ثوابه كما قال من الآية لقوله تعالى وأطيعوا الله وأطيعوا الرسول ولا تبطلوا أعمالكم وقال في مثله لا تبطلوا صدقاتكم بالمن والأذى وقال بعض السلف لا يتم المعروف إلا بثلاث تعجيله وتصغيره وكتمه ومن الصبر حبس النفس عن المكافآت على الأذى توكلا على المولى تعالى ومنه قوله عز وجل ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وهذا من الخصوص وقد قال بعض أهل المعرفة لا يثبت للعبد مقام في التوكل حتى يؤذى ويصبر على الأذى وقد جمع الله عز وجل ذلك في قوله ولنصبرن على ما آذيتمونا وعلى الله فليتوكل المتوكلون وفي قوله تعالى ودع أذاهم وتوكل على الله وفي قوله تعالى فاتخذه وكيلا واصبر على ما يقولون وهذا هو أول الرضى والمقام الثاني من الرضى هو الصبر على الأحكام وهو صبر أهل البلاء الأمثل فالأمثل فالأمثل بالأنبياء لقوله صلى الله عليه وسلم نحن معاشر الأنبياء أشد الناس بلاء ثم الأمثل فالأمثل ولقوله سبحانه في الجمل ولربك فاصبر [illegible] من الكلام المعيشة فقال واصبر لحكم ربك فإنك بأعيننا ومن الصبر حبس النفس على التقوى وإن التقوى اسم جامع لكل خير فالصبر معنى داخل في كل بر فإذا اجتمعا للعبد فهو من المحسنين وما على المحسنين من سبيل ومنه قوله عز وجل إنه من يتق ويصبر فإن الله لا يضيع أجر المحسنين وقال عز وجل لتبلون في أموالكم وأنفسكم ولتسمعن من الذين أوتوا الكتاب من قبلكم ومن الذين أشركوا أذى كثيرا وإن تصبروا وتتقوا فإن ذلك من عزم الأمور أي تصبروا على الأذى وعن المكافآت وتتقوا عند الابتلاء والمكاره ولا تجاوزوا فإنه أفضل كما قال الله تعالى وإن عاقبتم فعاقبوا بمثل ما عوقبتم به ولئن صبرتم لهو خير للصابرين ولقوله تعالى ولمن انتصر بعد ظلمه فأولئك ما عليهم من سبيل ثم قال تبارك وتعالى ولمن صبر وغفر إن ذلك لمن عزم الأمور فالأول أعني المكافآت والانتصار بالحق من العدل والعدل حسن والثاني وهو الصبر والعفو من الإحسان والفضل وهو أحسن وهذا مجاز قوله تعالى الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب فاستماع القول هو العدل واتباع الأحسن هو العفو وجعله المدح بالهداية والعقل وهذا مقام المتقين [illegible] الذين لا يظلمون فإذا ظلموا لم ينتصروا والوصف لأهل هذا المقام في الأخبار وهو الخشوع والطمأنينة إلى أحكام الله عز وجل في الأخذ والمدح وقد قال الله تعالى وإن الساعة لآتية فاصفح الصفح الجميل والتقوى والصبر مقترنان أحدهما متوكل بالآخر لا يتم كل واحد إلا بصاحبه فمن كان التقوى مقامه كان الصبر حاله فصار الصبر أفضل الأحوال من حيث كان التقوى أعلى المقامات إذ الأرفع هو الأكرم عند الله تعالى

والأكرم

والأكرم على الله عز وجل هو الأفضل وقد نسب الله تعالى الصبر فأضافه إليه بعد الأمر به فقال واصبر وما صبرك إلا بالله وقد قال الله تعالى ولربك فاصبر فإن كان كل شيء به ولكل عمل صالح له فلا يصف الله تعالى عبدا ولا يثني عليه حتى يبتليه فإن صبر وخرج من البلاء نشر له مدحه ووصفه وإلا يبن له كذبه ودعواه وقيل لسفيان الثوري رحمه الله ما أفضل الأعمال فقال الصبر عند الابتلاء وقال بعض العلماء وأي شيء أفضل من الصبر وقد ذكره الله تعالى في كتابه في نيف وتسعين موضعا ولا نعلم شيئا ذكره الله تعالى هذا العدد إلا الصبر فلا يطمع طامع في مدح الله تعالى له وحسن ثنائه عليه قبل أن يبتليه فيصبر له ولا يطمع أحد في حقيقة الإيمان وحسن اليقين قبل أن يمدحه الله تعالى ويثني عليه ولو أظهر الله تعالى على جوارحه سائر الأعمال ثم لم يمدحه بوصف ولم يثن عليه لم يكن له يومئذ عليه سمو. الحكاية وذلك أن من أخلاق الله تعالى أنه إذا أحب عبدا ورضي عمله مدحه ووصفه في الابتلاء بكراهة ومشقة أو بهوى وشهوة فصبر لذلك أو صبر لذلك فإن الله تعالى يمدحه ويثني عليه بكرمه وجوده فيدخل هذا العبد في أسماء الموصوفين ويصير واحدا من المخصوصين فيعتد له ثبتا قدمه من الله ويجعل له بما سبق من صالح العمل ومن الصبر صبر على العوافي أن لا يجعلها في معاصي الله والصبر على الغنى أن لا ينفقه في هواه والصبر على النعمة ألا يستعين بها على معصية فحاجة المؤمن إلى الصبر في هذه المعاني ومطالبته بالصبر عليها كحاجته ومطالبته بالصبر على المكاره والفقر على الشدائد والضر ويقال إن والفقر يصبر عليهما المؤمن والعوافي لا يصبر فيها إلا صديق وقد كان سهل يقول الصبر على العافية أشد من الصبر على البلاء وكذلك قالت الصحابة لما فتنت [illegible] قليلا من العيش وانفسحوا ابتلينا بفتنة الضراء فصبرنا وابتلينا بفتنة السراء فلم نصبر وعظموا الاختبار بالسراء وهو ما يشتد على الاختبار بالضراء وهو ماض وقد قال الله تعالى الذين ينفقون في السراء والضراء فمدحهم بوصف واحد في الحالين المختلفين لحسن يقينهم وسخاوة نفوسهم وحقيقة زهدهم ومن هذا المعنى قول الله تعالى يا أيها الذين آمنوا لا تلهكم أموالكم ولا أولادكم عن ذكر الله لأن فيهما ما يتسم فيشتغل عن الذكر ثم قال إن من أزواجكم وأولادكم عدوا لكم فاحذروهم لأن في الأزواج والأولاد ما يفرح به فيؤثر فيهما الهوى ويخالف بوجود قلبهما المولى فصار أعدى في المعنى لما يتولى إليه من شغلهما [illegible]

الخبر المروي عن النبي صلى الله عليه وسلم لما نظر إلى ابنه الحسن يعثر في قميصه فنزل على المنبر واحتضنه ثم قال صدق الله إنما أموالكم وأولادكم فتنة إني لما رأيت ابني هذا لم أملك نفسي أن أخذته ففي هذا عبرة لأولي الأبصار وقد روي عنه في هذا الخبر أيضا الولد ثمرة مجلبة مجبنة مصادر الحزن والبخل